اسطول العدو وتعطل مراكبه ومدافعه . اما الغواصات فيمكنها ان تهاجم العدو ليلاً نهاراً وليلاً في كل آن ومكان وتنال من العدو كما ظهر من افعالها في الحرب الحاضرة

ويطلق الطربيد من الغواصات او من البوارج بانابيب خصوصية تعد لذلك ويقذفهُ منها الهواء المضغوط او انفجار مادة تعرف بالكرولیت . واكثر الانابيب التي تطلقهُ من البوارج تكون في القسم الذي يغمرهُ الماء منها لان اطلاقهُ من فوق سطح الماء قد يعطل آلاتهِ او يغير وجهتهُ عند صدمهِ للماء

---

# تاريخ الكتب والمكاتب

## المخطوطات في القرون الوسطى

ذكرنا في مقالنا السابق ان الرقوق بقيت تستعمل للكتابة بعد ظهور الورق النباتي بقرون عديدة وفي مكاتب اوربا سجلات وعقود واحكام وغيرها كتبت على الرق بعد القرن العاشر وفي بعض متاحف باريس ملف فيهِ قضية الصليبيين الشهيرة وطولهُ اربعة وعشرون متراً . وكانت الرقوق تحمل من اسيا الصغرى ومصر والقسطنطينية الى فرنسا وايطاليا والنمسا ولما ازدهرت العلوم والمعارف في الغرب على عهد شارلمان في القرن الثامن صارت الرقوق تصنع في فرنسا فان هذا الملك الامي عني بامر العلوم فانشأ المجمع العلمي في باريس وانشأ مكتبة جمع فيها كثيراً من الكتب وارسل بعثة الى ايطاليا واسبانيا والقسطنطينية لابتياع الكتب القديمة ووصل النساخ والكتاب وانشأ معملاً لصنع الرقوق في فرنسا

واستمر صنع الرقوق محصوراً في فرنسا بعد ان قل ورودها من الشرق بسبب فتوح العرب وتوغل الاتراك في اسيا الصغرى واوربا الشرقية وكانت اثمانهُ فاحشة حتى بيع بثقلهِ ذهباً وروى احد مؤرخي الانكليز ان الراهب مارتين هوج ارسلهُ رؤساؤهُ الى انكلترا في جمع الرقوق منها ليكتب عليها الكتاب المقدس فلم يجد فيها القدر الكافي . ولذلك جعل النساخ والكتّاب يأتون بالرقوق المكتوبة ويمحونها ويكتبون عليها ثانية وقد محي كذلك كثير من نفائس المؤلفات المفيدة وكتب عوضاً عنها كتابات تافهة . وقال مؤلفو كون الاثري ان اكثر المخطوطات التي كتبت بعد القرن الثاني عشر كتبت على رقوق كانت مكتوبة وعميت . ولكن تمكن العلماء من اظهار كثير من الكتابات القديمة المحوة وقراءتها

وذلك بمعالجتها بالمواد الكيماوية . وقد اشتغل بقراءة الكتابات على هذه الطريقة الكردينال انجلو ماي فقد قرأ خطب شيشرون المفقودة المدعوة ريبوبليكا من كتاب صلوات في مكتبة الفاتيكان

## التجليد والمجلدون والرسامون

ذكر بليني ان متروديروس الطبيب وكريسياس العالم النباتي الفا كتاباً مطولاً في علم النبات وزيناه بالصور ورسما فيه كل النباتات والاشجار والازهار . وقال ايضاً انهُ رأى كثيراً من الكتب مزينة برسوم الابطال والقياصرة والمشاهير . وفي مكتبة الفاتيكان كتب كثيرة مزينة بالرسوم مزخرفة التجليد يرجع عهدها الى ما قبل القرن التاسع

وفي مكاتب اوربا وغيرها ايضاً كثير من الكتب الفارسية القديمة مزينة بالرسوم والمصاحف العربية المزخرفة الكتابة والتجليد المحفة بالنقوش الذهبية والفضية

وكانت مكتبة القسطنطينية حافلة بالكتب القديمة المزينة بالصور المذهبة المزخرفة التجليد من عهد قياصرة الروم غير انها فقدت كلها حين استيلاء الافرنج على هذه المدينة في الحملة الصليبية الاولى اذ تلف كثير منها واستولى امراء الافرنج على ما بقي . وكان النساخ يزخرفون الكتب خصوصاً الدينية منها ويكتبون عنواناتها وبداءة فصولها بحبر ذهبي وفضي واستقدم شارلمان كثيرين من المجلدين والرسامين والمصورين من ايطاليا والشرق لهذا الغرض . وفي مكتبة باريس نسخة من كتاب صلوات يدعى « ساعات شارلمان » وهو موشى بالذهب ونسخة من الاناجيل مزينة بالرسوم والصور كتبت بامر الملك شارل الاصلع . وبلغت صناعة زخرفة الكتب ورسم الصور فيها مبلغاً عظيماً من الاتقان في القرون الوسطى والكتب الباقية من ذلك العهد تشهد بذلك . واجمل كتاب في مكتبة باريس نسخة من التوراة تعرف بنسخة ريشيليو كتبت بامر هذا الكردينال الشهير واشتغل بكتابتها وتزيينها جماعة من امهر الكتاب والمصورين والرسامين وفيها خمسة آلاف ومائة واثنتان وعشرون صورة متقنة ازرم موشاة بالذهب والفضة والالوان الزاهية . ويقال ان مثريًا انكليزيًا عرض ان يشتريها بعشرين الف جنيه فلم تعطَ لهُ

وكانوا يعتنون كثيراً بزخرفة دفوف الكتب من الظاهر وفي مكتبة البندقية كتاب قديم من القرن الرابع عشر دفتاهُ من العاج وعليهما رسم القديس مرقس الانجيلي ونقوش ذهبية

وفي مكاتب اوربا كثير من هذه الكتب المزخرفة الكتابة والتجليد مما كان للملوك

والامراء منها كتاب صلوات كان لملكة بريطانيا حنة وكتاب صلوات لدوق بورغونيا . واشترت اميرة انجو كتاب مواعظ مزخرف بمئتي رأس غنم ومائتي دوقا . واشترى الكردينال بيكوليني ثلثة مجلدات من مؤلفات فوطارخوس بمبلغ باهظ جدًّا واشترى البابا ليون العاشر سنة ١٥٠٠ كتاب تاسيتوس الروماني بخمسمائة دينار وكل هذه الكتب وغيرها لم تزل الى الآن في مكاتب اوربا

وكان شاري الكتاب في الغالب يكتب اسمهُ عليهِ ويذيلهُ بمثل هذه العبارة « من اختلس هذا الكتاب او اخفاهُ ولم يردهُ لصاحبهِ فليكن ملعونًا وتذهب نفسهُ الى الجحيم ويمحَ اسمهُ من سفر الابرار » وبقي النساخ واصحاب الكتب يكتبون عليها مثل هذه اللعنات الى اوائل القرن الماضي

## تاريخ انشاء المكاتب العمومية في العالم

قال المؤرخ ديودورس الصقلي . ان احد الملوك المصريين من الاسر الاولى انشأ مكتبة في قصور بمدينة طيبة عاصمة ملكهِ وكتب فوق بابها « هنا دواء النفوس »

وكان بدءُ انشاء المكاتب عند اليونان على عهد بيزستراس وانشأ الاثينيون مكتبة عظيمة في مدينتهم جمعوا فيها كتبًا كثيرة من فينيقية ومصر واسيا الاَّ ان زارا ملك الفرس احرقها حينما اجتاح بلادهم وقيل انهُ نقل كتبها الى بلاد فارس

ومن المكاتب القديمة الشهيرة عند اليونان مكتبة جزيرة ساموس انشأها طاغيتها بوليكرات ومكتبة اريسطوطاليس التي استولى عليها ثيوفراستس واشتراها بطليموس فيلادلفوس ونقلها الى الاسكندرية عاصمة ملكهِ

وكانت مكتبة الاسكندرية اشهر مكاتب العالم انشأها بطليموس سوتير في القرن الثالث قبل الميلاد وعني بامرها البطالسة من بعدهِ . وعلى عهد ابفرجاتوس الثاني تضاعف عدد كتب هذه المكتبة بما اضافهُ اليها وقد بلغ من كلفهِ في جمع الكتب فيها انهُ كان يرسل الى انحاء البلاد للاستيلاء على الكتب بحق او بغير حق ويحملها الى الاسكندرية وجمع في قصوره مئات من النساخ لنسخ الكتب حتى بلغ عدد مجلدات هذه المكتبة الشهيرة سبعمائة الف مجلد على رواية وتسعمائة الف على رواية اخرى

ولما حاصر الرومان الاسكندرية واستولوا عليها احترق جانب من هذه المكتبة وكانت في هيكل سيرابيس ( شارع المسلة ) غير انهُ بقي قسم كبير منها فاهتم الرومان بهِ حتى عاد عدد المجلدات فيها خمسمائة الف مجلد وذلك على عهد ثيودوسيوس امبراطور الروم في القسطنطينية

ولما امر هذا الملك بهدم معابد الوثنيين في اسيا ومصر هدم هيكل سيرابيس واحرق اكثر الكتب المصرية والوثنية ولم يبقَ من هذه المكتبة العظيمة سوى مائة الف مجلد ثم اضيف اليها مؤلفات تاريخية وجدلية في زمن الروم حتى بلغ ما فيها مائتي الف كتاب اكثرها لعلماء الروم ومؤرخيهم

واما مكتبة برغاموس في اسيا الصغرى فلم تكن اقل شهرة من مكتبة الاسكندرية وانشئت في القرن الثاني قبل الميلاد وروى فلوطارخوس ان عدد كتبها تجاوز مئتي الف ولكن المؤلف الواحد كان يملأ ادراجاً عديدة فاشعار هوميروس مثلاً كانت اربعين ملفاً وتاريخ تيتليف كان مئة وخمسين ملفاً

واستولى انطونيوس الروماني على هذه المكتبة حينما اجتاح اسيا واهداها الى عشيقته كليوباترا فضمتها الى مكتبة الاسكندرية

ولم تنشأ المكاتب في رومية الاَّ على عهد القياصرة . وانشأ افريتيوس بوليون المكتبة الاولى في رومية في هيكل الحرية . وانشأ اغسطوس قيصر مكتبة كبيرة في قصر على جبل البلاتين ودعيت المكتبة البالاتينية وحذا اكثر قياصرة الرومان حذوهُ في انشاء المكاتب في قصورهم

وقال احد المؤرخين انهُ كان في رومية بعد القرن الرابع نحو تسع عشرة مكتبة عمومية كبيرة غير المكاتب الخصوصية

وفي القرن الثالث انشأ احد بطاركة الروم مكتبة في اورشليم ثم انشأ غيرهُ من بطاركة الروم واساقفتهم مكاتب اخرى في القسطنطينية وانطاكية ودمشق وصور وصيداء وافمس ونصيبين ومصر وبلاد ما بين النهرين وغيرها وكان اكثر كتبها دينيًّا ولكن الوثنيين خربوا المكاتب المسيحية واتلفوا كتبها في اثناء اضطهاداتهم للمسيحيين في القرون الاولى بعد الميلاد وكان المسيحيون ايضاً يتلفون الكتب الوثنية اذا قدروا على اتلافها . ولما ملك يوليانوس قيصر الملقب بالجاحد جدد اضطهاد المسيحيين واثار عليهم الوثنيين واليهود فحرقوا كل مكاتبهم خصوصاً في الاسكندرية وفلسطين

ولكن بعض قياصرة الروم في القسطنطينية جددوا المكاتب وملأوها بالكتب النفيسة وعهد ثيودوسيوس الثاني الى جماعة من امهر الكتاب والصناع ان يكتبوا لهُ نسخة من الاناجيل فكتبوها بحروف ذهبية على رق ارجواني وجلدوها بصفائح الذهب وزخرفوها بالرسوم والنقوش ورصعوها بالجواهر الكريمة

وانشأ هذا الملك مكتبة كبيرة اقام عليها واحداً من اكابر علماء اليونان ولقبهُ بالمكاتب المسكوني واكثر لهُ الاعوان من النساخ والكتاب لجمع الكتب النادرة ونسخها . وبقيت هذه المكتبة زاهرة حتى سنة ٧٣٠م اي حين ملك الامبراطور لاون الثالث الذي امر بحرق هذه المكتبة الشهيرة مع حراسها وكتابها وموظفيها وفر عند ذلك كثيرون من علماء القسطنطينية وكتابها الى بلاد العرب ولجأوا الى اديرة ايطاليا ونقلوا معهم كثيراً من الكتب النفيسة

وقبل الفتح الاسلامي باد اكثر ما بقي من مكاتب الشرق في مصر وسورية واسيا الصغرى ولولا عناية المامون العباسي بجمع مصنفات اليونان والسريان وترجمتها لما بقي منها بقية في الشرق كله

وكان في كنيسة يوحنا المعمدان في دمشق مكتبة كبيرة حافلة بالكتب القديمة من يونانية وسريانية فلم يمسها المسلمون عند فتحهم المدينة لانها كانت في القسم الذي اخذ صلحاً ولما حول عبد الملك بن مروان الكنيسة الى جامع جعل هذه الكتب في قبة مقام النبي يحيى (يوحنا) فبقيت محفوظة لم يفقد منها شيء الى ان فتحها علماء الالمان باذن السلطان عبد الحميد وقيل انهم نقلوا كثيراً من كتبها الى برلين

وفي القرون الاولى بعد الفتح اهتم ملوك الاسلام في بغداد ومصر والاندلس بنشر الآداب والمعارف واقامة معاهد العلم فانشأوا المكاتب والمدارس ونشطوا العلماء فكثرت الكتب والتآليف العربية

وكان في قرطجنه مكتبة كبيرة على عهد اتيال الشهير نقلت الى رومية واحترقت مع مكتبة الكابيتول عند ما احرق نيرون الظالم تلك المدينة

ومما يجدر ذكرهُ ان مؤلفات الاقدمين فقد اكثرها ولم يصل الينا سوى جزء قليل منها . ويدل على كثرة المفقود كثرة المؤلفين الاقدمين فقد عد استرابون مائتين وعشرين مؤلفاً رومانياً وعد فلوطارخوس خمسمائة مؤلف . وعد بعضهم تسعمائة مؤلف يوناني . وذكر اكليمنضوس الاسكندري ستمائة مؤلف في الاسكندرية وحدها ولم يصل الينا من مصنفات هؤلاء المؤلفين سوى كتب قليلة لا تبلغ سبعين كتاباً ولم يصلنا سوى شذرات عن مصنفات بندار يوس واسخيلوس وسوفوكلس وغيرهم من مؤلفي اليونان والرومان المشهورين . واما كتب التاريخ لبوليبيوس وارسطو وتيتليف وتاسيتوس فلم يصل الينا منها سوى بعض مجلدات متفرقة ناقصة

وازهرت المكاتب في الاندلس في القرن التاسع حينما نشط العرب لنشر العلوم والمعارف وتشييد المدارس

وهرع الطلاب من كل انحاء اوربا الى اسبانيا لتلقي علوم الفلسفة والطبيعيات والهندسة والجبر والفلك وكثرت الكتب العربية في قرطبة واشبيلية وغرناطة وقد بقي كثير منها الى الآن في مكتبة الاسكوريال بمدريد وغيرها من مكاتب اوربا . وسنة ١٨٨٩ اكتشف الرهبان الكبوشيون في ديرهم بمدينة قرطبة كتباً عربية كثيرة

وفي القرن الثالث عشر انشأ لويس التاسع ملك فرنسا مكتبة عمومية في باريس جمع فيها كثيراً من الكتب ولكن كتبها تفرقت بعد موته في الاديرة وتقاسمها الرهبان وانشأ شارل الخامس المكتبة الباريسية الشهيرة في برج اللوفر واقام عليها الحراس والرقباء والناسخ ولم يزد عدد كتبها على تسعمائة لان الكتب كانت نادرة في ذلك العصر . وفي القرن الخامس عشر دخل الانكليز باريس فاستولى قائدهم دبوك بدفورد على خزائن المكتبة وارسلها الى انكلترا . ثم تأسست مكتبة ثانية في باريس في زمن لويس الحادي عشر جمعت كتبها من خزائن الاديرة وقصور الامراء وقد بقيت هذه المكتبة الى الآن وتعرف بالمكتبة الاهلية وهي من اعظم مكاتب العالم وعدد كتبها اكثر من ثلاثة ملايين

واعظم مكاتب الدنيا الآن مكاتب لندن وفينا وروميه وبرلين وبطرسبرج وستوكهولم والاسكوريال في مدريد . واغنى المكاتب بالمخطوطات القديمة مكتبة الفاتيكان في رومية ثم مكتبتا باريس ولندن

ولما فتح الاسبان بلاد المكسيك وجدوا فيها كتباً قديمة وكتابات ورسوماً وصوراً على الاقمشة وجلود الحيوانات وقشور الشجر وسجلات قديمة فاتلفوها غير مبقين على شيء منها ويظن انهُ لو كانت هذه الآثار باقية الآن لتوصل العلماء الى حل رموزها وعرفوا اصل الامة المكسيكية وتاريخها وكيف وصلت الى العالم الجديد . وبفقد هذه الكتابات فقدت ايضاً اللغة المكسيكية وظهرت المطابع في القرون الوسطى فسهلت اكثار النسخ من المؤلف الواحد فصارت المؤلفات في مأمن من الضياع لانهُ اذا احترقت نسخها في مكتبة او مكاتب بقيت في غيرها ديتري تقولا

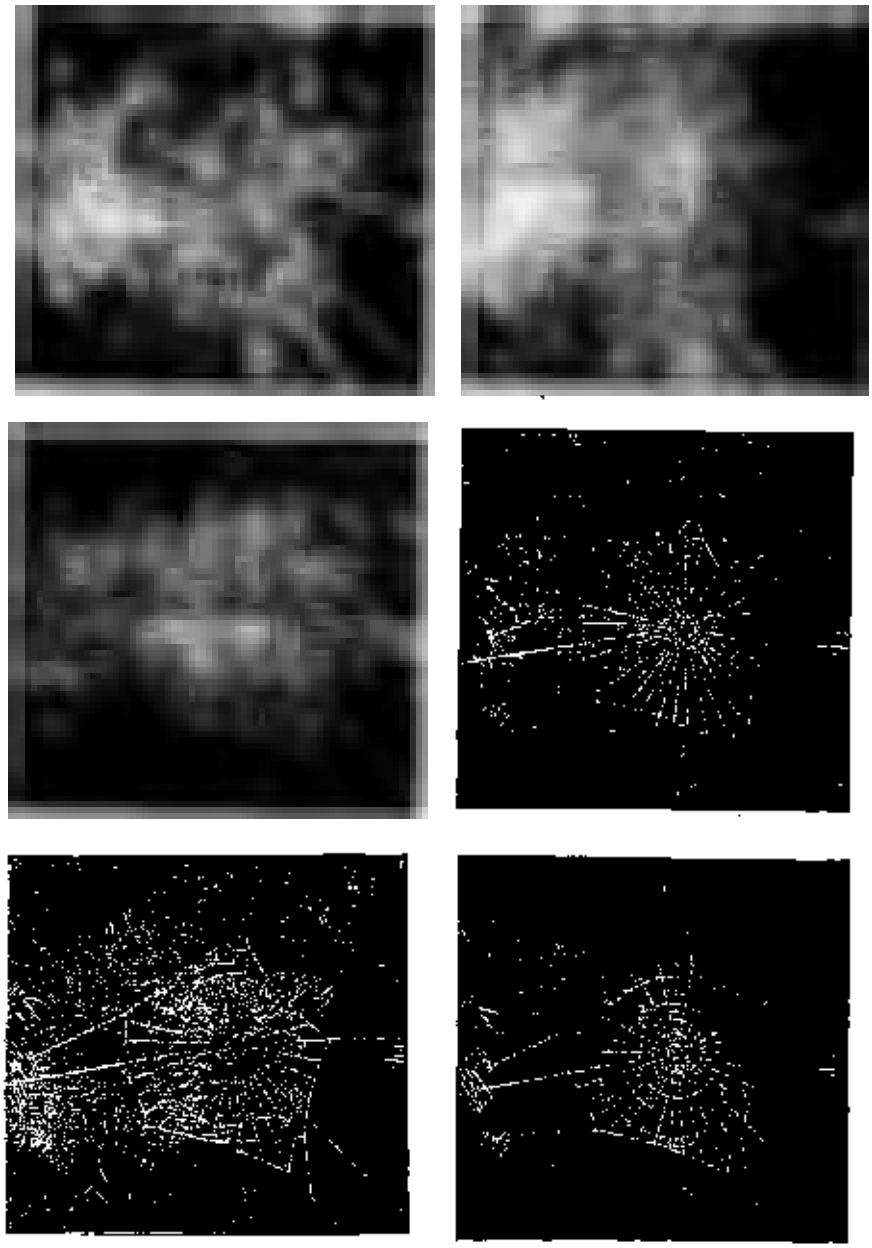


بيت العنكبوت

المقتطف صفحة ١٢٩ مجلد ٤٦